

## تفسير ابن كثير

بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

قال تعالى : ( بل بدأ لهم ما كانوا يخفون من قبل ) أي : بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا

يخفون في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة ، وإن أنكروها ، في الدنيا أو في الآخرة

، كما قال قبل هذا بيسير ( ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر

كيف كذبوا على أنفسهم ) ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق

ما جاءت به الرسل في الدنيا ، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه ، كما قال تعالى

مخبراً عن موسى أنه قال لفرعون : ( لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض

بصائر ) الآية [ الإسراء : 102 ] . قال تعالى مخبراً عن فرعون وقومه : ( وجحدوا بها

واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ) [ النمل : 14 ] . ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين

الذين كانوا يظهرون للناس الإيمان ويبطنون الكفر ، ويكون هذا إخباراً عما يكون يوم

القيامة من كلام طائفة من الكفار ، ولا ينافي هذا كون هذه [ السورة ] مكية ، والنفاق

إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ، فقد ذكر الله وقوع النفاق

في سورة مكية وهي العنكبوت ، فقال : ( وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ) [

العنكبوت : 11 ] ؛ وعلى هذا فيكون إخبارا عن حال المنافقين في الدار الآخرة ، حين

يعانون العذاب يظهر لهم حينئذ غب ما كانوا يبطنون من الكفر والشقاق والنفاق ، والله

أعلم . وأما معنى الإضراب في قوله : ( بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ) فهم ما

طلبوا العود إلى الدنيا رغبة ومحبة في الإيمان ، بل خوفا من العذاب الذي عاينوه جزاء ما

كانوا عليه من الكفر ، فسألوا الرجعة إلى الدنيا ليتخلصوا مما شاهدوا من النار ؛ ولهذا قال

: ( ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ) أي : في تمنيتهم الرجعة رغبة ومحبة في

الإيمان . ثم قال مخبرا عنهم : إنهم لو ردوا إلى الدار الدنيا ، لعادوا لما نهوا عنه [ من

الكفر والمخالفة ] ( وإنهم لكاذبون ) أي : في قولهم : ( يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات

ربنا ونكون من المؤمنين )